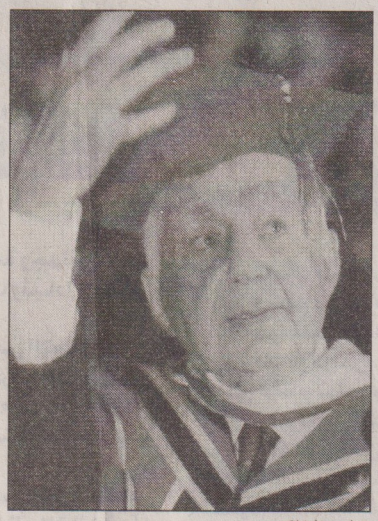
تمثّلت فيه عبقرية المتنبي وديباجة البحتري وجزالة ابن ابي ربيعة ورقة الحمداني

السمو والاشراق في شعر سعيد عقل وأدبه

■ د. جهاد نعمان

كنت في بسمة الصبا، يوم قدّمت سعيد عقل في المدرسة المركزية بجونيه، واستمعتُ إليه، وصفّقت له كثيرا، وهو يلقي درره في محاضرة حول مريم العذراء، جامعة اللبنانيين.

تلاقينا غير مرة وعندما درّست اللغة العربية وآدابها في جامعة نانسي الفرنسية وكنت في سني الواحدة والعشرين، طلب إليّ رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة ان ادرّس لغة شاعرنا الكبير للطلاب، ففعلت، وابتدعتُ قواعد للغة التي اطلقت عليها تسمية اللغة اللبنانية - السورية. ثم نقلت الكتاب الثاني من مجموعته «اجمل الكتب في العالم» (دفاع سقراط لأفلاطون) الى اللغة اللبنانية والحرف اللاتيني المعدل. وسرعان ما عدت الى الكتابة باللغة الفصحى لاعتبارات بديهية في نظري.



شاعرنا الكبير

النهر الجارف

اثار شاعرنا الكبير وما زال الكثير من الجدل حول آرائه اللغوية، السياسية والتاريخية. التقينا في ندوات ومؤتمرات بينها مهرجان الشاعرات اللبنانيات، حيث قدّم، رحمه الله، الشاعرة مي المر، وقدّمت أنا الشاعرة هدى اديب، في صالة السفراء بكازينو لبنان. ففاض على مألوف عادته، كالنهر الجارف، وبدا كأنه انخطف انخطافا امام الجماهير المحتشدة.

حاول اقناعي واقناع سواي بجدوى اللغة اللبنانية والحرف اللاتيني المعدّل لكتابتها. دعاني، بُعيد مناقشتي احد طلابي في كلية الآداب بالفنار، وكان حاضرا، الى منزله في عين الرمانة للحديث بموضوع اللغة، فلم اقتنع بما قاله، ولكنني ظللت اعتبره في مصاف كبار الشعراء العالميين. حلّق شاعرنا الفذّ في آفاق الابداع. وكان لشعره تأثيره العظيم في ايقاظ الهمم، والهاب المشاعر، ودفع الناس الى المطالبة بالسيادة والاستقلال، وكان شعره يعلو في كل مناسبة وطنية، فتتلقفه الاسماع، وتحفظه الصدور، وتنشره الجماهير، وتتنافس في نشره كبريات الصحف.

امتد اسم سعيد عقل بسرعة مذهلة الى جميع اقطار العرب، والى كثير من البلاد التي تضم جاليات لبنانية وعربية، يتأجج في صدورها الشوق والحنين الى مساقط رؤوسها، وملاعب طفولتها، ومسارح شبابها. والغى، رحمه الله، الفكرة السائدة القائلة بالمطلق بأن الأدب لا يطعم خبزا ولا يجرّ على صاحبه غير التعب والحرمان.

شعر لم تعرفه العرب

الشاعرية متأصلة فيه، سارية في دمه. لذلك راح يصدح بشعر لم تعرفه العرب منذ عهد سيف الدولة، ظفرنا به جميعا، تمثّلت فيه عبقرية المتنبي، وتجلّت في قصائده ديباجة البحتري، وجزالة ابن ابي ربيعة، ورقة ابي فراس الحمداني.

يختار صاحب «رندلى» و «قدموس»، الساعي الى فينقة لبنان ولبننة العالم، اللفظة المناسبة للمعنى الذي يريده، ومن هنا جاءت اشعاره وحتى النثر، في منتهى الدقة، الفصاحة والانسجام، فضلا عن السمو والاشراق والتجديد الدائر في فلك الفصحى اولا، والمشرق بأنوار الأصالة الفنية الخالصة. كتب شاعر القرن العشرين بالعربية واللبنانية والفرنسية، وانشأ جائزته عام ١٩٦٢. وعندما توثقت اواصر الصداقة بينه وبيني، حاولنا مع نخبة من الادباء ان نساهم -كل في مجاله وفي اطار روزنامته- في خدمة الكلمة والتجديد. وشاء بعضنا ان يغالي في التجديد مغالاة ادت، كما اشرنا الى ذلك، الى عدم اكتمال جانب من محاولتنا، فتفرعت مشاريع اللغة المحكية وتشتتت.

انشد سعيد عقل، على الرغم من الاختلافات بيننا وبينه حول المسائل اللغوية والسياسية، خرائده البكر، فهز المنابر وخلب الالباب واقام الجماهير والنخب معا واقعدها. اثر تأثيرا سحريا عجيبا في سامعيه وعشاق ادبه. فبنبرة من صوته الجهوري او بنظرة منه كثيرا ما كان يدفع الايدي الى التصفيق والحناجر الى الهتاف.

الشجاعة الأدبية

قال سعيد عقل الحق، ودافع عن الحق، من غير ان يخشى لومة لائم، او يخاف سطوة ظالم او مغتصب. فالشجاعة الأدبية فيه، تحدوه على الصراحة، وتجعله ينتقد المفسدين، ويثور كالبركان على المستبدين الغاضبين.

احببته حبا صادقا، وامضيت بصحبته اطيب الايام، ما رأيت اعف منه نفسا، ولا اصدق منه عاطفة، ولا ارق منه قلبا، ولا غرو، فالشعر مرآة روح الشاعر، وصوت فؤاده، وهمس وجدانه. وشعر سعيد عقل حافل بكل ما يمتاز به من نبوغ وجرأة ومروءة وشمم واباء.

انه شاعر مثالي شجاع، لم يخف قويا ولم يتعلق ثريا، ولم يمجد غير البطولات والمروءات. ولو اراد لمشى اليه الفضاء، ولتدفقت تحت قدميه ينابيع الغنى، ولكنه خلق عزيزا ابيا، فيه من الانسانية اكرم هباتها، وامتن مقوماتها.

رفض التكريم لشخصه الكريم على الرغم من ان في شخصيته ونتاجه نواح وافرة تستوجب كل منها المحبة والتكريم. كان من شأن سعيد عقل ان يمثل، بفضل نبوغه وعبقريته وحبه للأدب، بلاده اروع تمثيل. حسبه ان يتجلى شاعرا كبيرا بل ان يكون «سعيد عقل» وكفى! ولا ريب في ان الشعر العربي مدين له بأسمى ما في التجديد من معان شريفة، وصور فكرية جميلة، واخيلة مجنحة ترفرف على جباه النجوم، وتحلق فوق نهر المجرة. واذا حق لامته ان تباهي بنابغ من نوابغها، وان تعتز بشاعر عبقري، فمن حق امتنا اللبنانية خصوصا، ان تفاخر بإبنها سعيد عقل، لأنه رسول الفكر النير وشاعر العروبة الحضارية الامثل.

حفظك الله! استاذنا الكبير في دنيا الحق عالي الجبين.